

كريم جواد

بقايا مجداف



شعر

بقايا مجداف

المؤلف: كريم جواد
الكتاب: بقايا مجداف (شعر)

صدرت النسخة الرقمية: حزيران/ يونيو 2025
- الطبعة الأولى - دار نينوى - دمشق - سوريا، 2003

- الناشر: «ألف ياء AlfYaa»
- الموقع الإلكتروني: www.alfyaa.net
- جميع حقوق توزيع النسخة الرقمية بكل التنسيقات (PDF، ePub، و/أو أي تنسيق رقمي آخر محفوظة لـ «ألف ياء AlfYaa»
- جميع الحقوق الفكرية محفوظة للمؤلف
- يعبر محتوى الكتاب عن آراء مؤلفه.
- «ألف ياء AlfYaa» ناشرة للكتاب فقط وهي غير مسؤولة عن محتوى الكتاب



-
- تصميم الغلاف والإخراج: طالب الداود

کریم جواد

بقایا مجداف

شعر

منشورات «آلف یاء AlfYaa»

المحتويات

5	المحتويات
9	ثلج
10	اللجة
11	ساندلوس
12	كابوس
15	القصيدة أحيانا
16	صرخة
18	هذا العيد
19	قفاز
20	الرحلة
22	عواء عراقي
24	كاميرات السياح
26	كي أكتب قصيدة
27	1991
28	نخلة عيد الميلاد
29	حين تبكي امرأة
31	هالويين : (أقنعة الغريب)
34	أثر جرح غائر
36	مرايا
37	رغبة
38	مركب ومجداف
39	إظلام
40	شاشة سوداء
41	الجسد اليباب
42	إبطاء مفاجئ في السير
43	قلب مستأصل
44	سكون
45	سينما آدمز مورغن

46	هدايا العاصفة
48	قبعة سنومان
49	مشهد
50	مفهوم السماء
52	الشوارع في الأعلى
54	مجداف ستيفن
56	ليل هنا
57	كتاب
59	ماريا كالاس
60	تمثال
61	أدراج الرأس
62	سواد قرون
63	الأوراق
65	ملائكة
67	ذئب
68	قبلة عبر الزجاج
69	لو أن
70	عشرة أقفال
71	جفاف
74	يدي على قلبك
76	كلمة رمل
78	وصية
80	تلفاز
82	ليل
83	بقية الجسد (حلم متكرر)
85	لتكن
86	رغوة صابون
88	شبكة
90	سلطة أحلام
92	كانت الذاكرة
95	يدانا تؤلمانك

97	دماء المارة
98	هنا - إك
99	بضعة غريبان
100	شتاء 2000
105	الظلام هنا
106	أزمنة
107	أوثان
108	تعويذة كافافي
109	لا - وقت
110	الشريك
111	غزل
113	حارس ليلي
114	عشبة خلود
115	حفلة تنكرية
117	أحوال بولتن ستريت
118	يقول مهرج
119	وضعية مظلي
120	فوهة بركان
124	فم الساحر
125	معارك
127	أترك القطة يومين بلا ماء
129	مرآة الثلج
130	صدر للمؤلف

ثلج

الورقةُ بيضاءُ
قصيدةٌ عن الثلج؛
الثلج النائم
مثل فجر سهران
على الأرصفة:

الكلماتُ
آثار عابرين بأقدام موحلة،
أو لنقل: مغمسة
في "محبرة الليل"

الثلج الذي
أحدهم
ينحت في السماء
تمثالاً للصيف؛
سأحتاج فأسا من الذكريات
لأهد تماثيله

اللجة

عندما تكون في لجة الـ.. أمواج والـ..
والهموم أو اليأس أو غريقا حقيقيا
في رمال ماضيك
أو.. وأنت ترى الموت يتسارب دلاليا
أو بالفعل أمام عينيك
هناك دائما من يوصلك
بحبل يفلته من الطرف الآخر
يرمي لك بقارب نجاة مهشم وبلا قاع
لكنه في اللحظة الأخيرة
ينتشلك بكلتا يديه
يضمك إلى صدره
يقبل عينيك
ثم يعيدك إلى اللجة وعيناه دامتان
ويبتعد

ساندلوس

مرةً قَضَمَت الحربُ كَفَ صديقِي، فصرت
أصافح الرماد النابت على ذراعِهِ كلما
التقينا مصادفةً في الطريق، أو في المقهى
حيث كان يجرب ساعات خرز المسبحة
بكفه اليسرى، قال لي إنها ساندلوس
اشتراها أبوه من شيخ كردي في شقلاوة،
ففركتها له وشممناها، قال: لها رائحة
ممحاة وردية اللون مختلطة برائحة الأقلام
الرصاص، ولم أقل - على ذكر الرصاص
- بل عطن يدٍ مزرقة تُركت فوق الرمل
نهبا لشمس عشرة أيام

كابوس

إلى عقيل منقوش

ألا تزال تتحسس
طعم الرمل البائن يملأ فمك
ألا يزال صريره بين أسنانك؛
مجهریات تعمل بمداهها الجارحة
خلف أذنيك،
في أظافرك، وعميقا في عينيك؛
بين الجفن والبياض المحمر
من اسفل الرقبة نزولا إلى حيث
تنطبع على الجلد حافةً الملبس الداخلي
صرير الرمل الذي كنا نسمعه في حركة
المفاصل
في التقاء نظرتين في الظل الحار لخيمة
أو ربما في احتكاك فكرتين في رأس
أحدنا

وأيضاً في الفم الخاوي حيث بضع كلمات
بالكاد تصل عبر عاصفة
الظلام: رمل أيضاً
لا يزال يسد رئتيك
والمكان: حيثما حلت خيمة في صحراء
تحملها قاطعا الأيام بالجسد ذاته
الجسد الذي طالما مضغت به الرمل على
أمل أن تنفذ الظهيرة
وعندما تفيق في منتصف الليل
فلأن ثمة صريرا في رأسك
إنه صرير الصحراء
الصحراء التي لم تعد مجرد ذكرى
الصحراء التي لم تعد مجرد وشم على
عضلة القلب
والتي لا يزال يحملها كل منا
- كطفلة كالحة - على كتفيه
وحين ننصرف كلاً إلى وحدته...
أو لنقل خيمته الأبدية
فلكي نستحضر الوجوه المدفونة تحت

الأغطية

منقبة في ظهاري آب عن لحظة نوم
من أجل أن يصدّق وصفها
للواقع بـ: كابوس

القصيدة أحيانا

القصيدة أحيانا
دمعة تعود كلما ذرفتها مموهةً بالعذر
القصيدة كأننا بالبكاء نضاعف الدمع
أو نشد نصاله كلما ذرفناه
تلك الصخرة التي نجرجرها
كالعبيد على سفح
مغلولين إليها بالأوردة والشرابين
أحيانا دمعة تتحجر
فنجرجرها بنياط الروح
إلى أين؟

صرخة

الصرخة التي
مثل طير كاسر،
أفلتناها حين اجتزنا الحدود
بباص مدرسة
لا تزال هناك
مثل فريسة عمياء
تحرص قبورا ضلت شاغرة
خلفنا
كانت أرواحنا خرقا
جف عليها الوحل
كانت أجسادنا رمالا
في أكياس مهراة
وكالمواقع التي فرّ منها الجنود
أخلينا على عجل أعمارنا
مخلفين أكداسا من الذكريات
وأياما معطوبة كجثث من لم ينجوا

لم نر وجوهنا
في زجاج نوافذ الباص
لم نسمع أسماءنا
حين نودي بها علينا
ولم ندر
أكانت السماء
جريحة ذلك اليوم
أم إن الدم كان يسيل من عيوننا
حفنة حدادين في إسطنبول مهجور
خبأنا، كلا تحت قفصه الصدري، مطارقنا
وعلى نار الأنفاس رحنا نشد صرخة
كانت منذ قرون تنهش حناجرنا
الصرخة التي كأن الحدود
حبل مشيمة قطعناه بأسناننا

هذا العيد

يشبه عائلتين
في خصومة هذا العيد
لا يُدَّخر كذكرى
درهم ضائع
نعثر عليه بعد أيام
صدنا في حفرة
هذا العيد
الذي لا يريد أن يندمل
وعليّ أن أضمه بالنوم

قفاز

حلمت أنني بيد واحدة ووحيدة أحاول خلع
فردة قفاز. تارة أعض على وسطي
القفاز بأسنان تتساقط جميعها في الحال،
وتارة أدوس بقدمي على أطرافه وأنحني
كي أسحب كفي، فأسمع كيف يتكسر
عمودي الفقري. كان لون القفاز أسود
كظلام الغرفة وأنا الذي كنت أتكى على
فراغ خلته كرسيا فسقطت، قضيت الليل
زاحفا كمجنوم، أتألم سلفا لارتطام متوقع،
ولم يبق مني في المرأة المعتمدة - كعادتي
في الأحلام - سوى عيني اللتين عبثاً
حاولتا رؤية يدي الواحدة طيلة الليل

حلمت أنني نمت ثانية في الحلم
فراح لساني
يجلو المرأة من العتمة
ومن الغرفة ظلامها المطبق
وكفي من القفاز

الرحلة

إلى باسم وطه

خلال حفرة قعرها الحادية عشرة ليلا
وفوها الفجر
في صحراء لم تكن مشاعة كعادتنا فيها
بل كرحلة تحت أرض مقلوبة نقطعها
عراة على هدي البروق
كما لو بعد حريق سيشب لاحقا
ونحن بين بين
مكدسين في شاحنات
تدب في الظلمة على أضلعنا
وإذا قيل: أضعنا الدليل، تقاسمنا المطر
والرمل غطاء
وتراصصنا كنز لاء مقبرة جماعية
حالمين بجرافة
لم تكن لنا شهية لكلمات

ولو قليلة عن الطقس
أو عن العتمة التي كسكين في المعدة
إذا أردت أن تتقياً
لم نتبادل حتى النظرات
ناهيك عن الأسماء والعناوين
وابتسامات التعارف:
لا بريق في عين ولا أنة على شفة
والأيادي التي لوحت عبر الأسلاك
الشائكة
طويلاً بما يشبه الوعد أو الوعيد
هاهي الآن أعواد ثقاب بللها الخوف
ولن توقدها ألف صاعقة
في تلك الظلمة المحكمة كحفرة
قعرها الحادية عشرة ليلاً وفوهتها
حيث كنا نتقدم كأضاح لوحوش الأساطير
ب: (أجساد ثابتة أمام الرعب وأرواح
تريد أن تهرول باتجاه حتفها)

عواء عراقي

عن الغرقى في كل البحار

حلمت أنني مسلة
أقامني الغرقى في الماء
وحفروا بأظافرهم
آخر الحشرات على جبيني
حلمت أنني تأرجحت لساعات بين أيديهم
قبل أن يهدم التعب واليأس
ويستسلموا لنعاس طويل بين أحضاني
كنت أرى الماء يغلق عيونهم
ويضع تحت رؤوسهم وسائد
من أشنات البحر
وبين الصخور هنا وهناك
كانت قمصانهم منكسة مثل رايات
جيش مهزوم
جثث قتلاه

إلى الأبد
في جميع البراري

كاميرات السياح

مثل

كاميرات السياح
مدلاةً على صدورهم؛
رؤوسهم المشدودة إلى رقابهم
بشرائط من الدم

مثل

كاميرات السياح
مع أنها مخربة وبلا قبعات

رأيتُُّ

كيف أوثقوا إلى الأعمدة
وكيف تحت مصابيحها المطفأة
كانوا معتمين طيلة الليل
كأنهم صورهم
في شريط معطوب:

وجوهم كانت ممحوة بالرماد
أو مهشمة بآلات حادة
بينما أقدامهم
التي تسيل خارج المشهد
رأيت
كيف حشرها صبي
في عربة يجرها حمار
منذ الفجر
بحثا عن آخرين

كي أكتب قصيدة

كما يحدث مع جميع الغرباء كل يوم،
اعترضني متشرد قرب محطة للمترو كي
أقرضه بعض المال. قال: إنه كان جنديا
في حرب الخليج. قلت: أنا لاجئ مندها.
قال: لا أنت تذكر. قلت: أنت تباليغ في
أمرين اثنين: الأول أنك.. ثم اندفعت نازلا
السلام في حفرة حيث ستنغلق أمام
ناظري أبواب قطار الخامسة دون تأنيب.
بيد أن خمسينية سوداء ابتسمت إشفافا مع
أنها شكت بأنني أخلق المشهد برمته:
المتشرد وحرب الخليج وخيبتني المزمنة
أمام الأبواب؛ كي أكتب قصيدة

1991

كان قد حمل الجثة وحده وأتى بها إلى
المغتسل. لم يجد أحدا فغسلها بنفسه.

قبل ذلك كان قد عراها من الثياب بعد أن
جرجها من المقعد الخلفي لسيارته، ثم
وضعها على الدكة، سكب الماء على
المواضع المخرقة بالرصاص فاصطبغ
الماء بلون الدم أمام عينيهِ وسال على
الأرض، ربما لوث كعب حذائه أو حاشية
البنتال.

بعد أن انتهى لم يقو على حملها لوضعها
في تابوتٍ جره من باحة المغتسل، فخرج
ليستنجد.

كانت كربلاء مقبرة تماما
وظلت كذلك طيلة المساء

نخلة عيد الميلاد

استبدلت شجرة عيد الميلاد هذا العام بنخلة
رسمت عليها نهريين أسودين ووجه تنين
لونته بالأخضر (نكاية بي). وعلى سقف
الصالة وضعت سماء ضاحكة طيلة الوقت
بفم مليء بالأسنان وهلالا مثلوما ونجمة
مطفأة (نكاية بي) وتمددت قرب النخلة
عاريا بذراع مرفوعة كشاهدة وأخرى
مثل راية منكسة في منتصف الليل قرب
رأس قتيل

حين تبكي امرأة

كيف نجفف - إذا بكت المرأة - دموعها.
كيف نمد لها يداً بمنديل ونربت بالأخرى
على كتفها. كيف إذا كُفّت عن البكاء
نعرف أنها كففت دموعها ولم تعد واحدةً
إثر واحدة تنسرب بخطوط متوازية على
وجهها. وحين تتمكن أخيراً من الدموع
خجلةً من إظهار الضعف؛ ماذا عن
رموشها التي لا تزال تومض على
أطرافها ذرات الدمع، أصابعها التي.. مَنْ
سيدلها على بقايا الكحل الذائب تحت
الجفن أو قريباً من زاوية الفم أو حيث
يتناهى بعضه إلى صدغها. حين تبكي
امرأة عبر الهاتف نخسر قبل كل شيء:
ابتسامتها التي تتموج بعد هذا بترددٍ كما لو
كانت تبتسم لنا ووجهها منعكس في الماء.
نخسر مشهد انشغالها بإعادة ترتيب
المكياج واللقطات الخاطفة لأحمر شفثيها
في مرآتها الصغيرة، حركة يدها من
الحقيبة إلى اليد الأخرى ثم إلى الوجه
وبالعكس وأخيراً متعة أن نشاكسها بأن

لطفة صغيرة من السواد لا تزال على
قميصها حين تصر على أنها

لم

ولن

ولم

تبكي

هالويين : (أقنعة الغريب)

لا حاجة لأصباغ :
تكفي الندوب تحت عينيه
وتكفي وحشته ليتقافز الآخرون
من الرعب

لا حاجة لرداء
في هيئة حيوان منقرض
عارياً سيمتدحون مقدرته
في الماضي
أبعد من الانقراض

يستطيع الخروج إلى الناس
بلا حكمة المجيء من الأفاصي
تاركا في جيب معطفه

نظارات السائح التي يقلّب بها
بهاء الأماكن المنطفئة في نظراته

لن يسأله أحد: هل تفتقد وطنك
سيظنون حزنه قناعاً
والدموع ماءً
يصعد من قنينة صغيرة الحجم
يخبئوها خلف إحدى أذنيه

له أن يعوي
مثل ذئب مهجور في صحرائه:
مدعياً أن عواءه
تنكر مشاعر

له أن يتلوى
وسط المحتفلين مثل ساحر
ضاعت مديّة أحدهم في أحشائه

وله أن يعتزل الحشد متى أراد

سيظنون إنه بوذي تائه
منذ قرون في مغاور نفسه

أصابه آخر السهرة أعقاب سجائر
وكفه منفضة

ذراعه بقبضة مضمومة
هراوة وجسده صنج

عيناه ثقبان محفوران
بالأظافر:
انظروا كيف يثبت الحجر
بين كتفيه

يا لرشاقة قدميه
وسط الراقصين
كأنه يركل بها خريطة
عسيرة على خطواته

أثر جرح غائر

إلى أفراح

تحسسي رأسك
ثمة فوق أذنك اليمنى أثر
جرح غائر في ذاكرتي
ينز دماً كلما تذكرت
حين شجّت رأسك دراجة هوائية
وحين ركضت مذعوراً باتجاه صرختك

1 - على الإسفلت مُمدة كنت،

وعلى مقربة منك

كانت لا تزال تدور

إحدى عجلتي الدراجة

(أتذكر) حديدتها الصديء

مضرراً بقطراتٍ من دمك

2 - وَجْهُكَ كَانَ مَغْطًى بِالدَّمِ.
الدم الذي كان يقطر
أيضاً من أطراف أصابعك
(كنت تبكين من شدة الألم دمعا أسود).

3 - سَأَلْتُكَ:
إِنْ كُنْتَ مَصَابَةً فِي إِحْدَى عَيْنَيْكَ
فَلَمْ تُجِيبِي

4 - دَمَوْعُكَ تَسُدُّ عَلَيْكَ فَمَكَ
وَتَلَطَّخُ بِالدَّمِ كَمِّي ثَوْبَكَ
(لكن هل كان دمك أسود
أم إنها قتامة كل هذه السنين)

مرايا

تتألم المرايا كأصحابها. حين تغزوهم الكوابيس في الليل تستنجد بصوت كامدٍ، مثلهم إذ يفكرون ويكدسون الأفكار في الغرف. عند الانتحار تستوي بناية من عشرة طوابق والشارع أعزل، أو تغوي كصخرة أسفل الوادي وكمهد يتهدد في هاوية. بيد إنها تعتم لمرأى الغريبة تعيث بالمكان فيفقد السرير أطرافه وتضطرب تحت أقدامنا الوسائد، لكن بعد برهة تعود لتكرر المشهد بمتعة كما لو كانت موسيقى عميان.

المرايا تشبه أصحابها

عندما يهرمون لماذا تنتشر؟

رغبة

نتكور على السفوح
مثل أحجار
صغيرة توشك أن تنجرف
أو نقلدها صاعدين بظهور مقوسة
نحرق في شق غائر
في راحة الجبل
بالرغبة ذاتها التي حين نحرق
في مرآة
كأننا نروض خوفنا القديم
بأن نرمي للتهلكة طعاما
أعني أن نرتمي لها
ببراهين ناقصة
وبأجساد غير قابلة خارج الهوة
للإثبات

مركب ومجداف

أسرني هوشنك بما لن أقول لأحد لكن
أخشى صمتي يفضح ما قال فأنقض العهد
لذا دونت في قصاصة: الرجل - الشجرة
والمرأة - الغصن يتشابكان في سيارة أجرة
فتعج الطرقات بالثمار أتخيلهما متوسدين
الراحة في أغنية قديمة عن العصافير
دموع العاصفة أو من أين للأيام كل هذه
المعاول

قال لي والجسدان مركب ومجداف: لا تقل
لأحد

إِظْلَام

كأعمى محترفٍ
أجربُ الغرفة مغمض العينين:
خطوتين إلى الخزانة
ومثلهما لأتهندم مُغمضاً أمام المرأة
ومُغمضاً
أحكم ربطة عنقي
وأرتب شعري
ثم أتبين الندوب تحت الجفن
وأطلع إلى ساعتِي مُغمضاً أيضاً
لكي لا أتأخر

شاشة سوداء

مركبان معطوبان
على رمل شاشة سوداء
لنا ماض واحد
وأحلام واحدة
وفي الليل
توثقنا حسرة واحدة أيضا

غير أنك تبكي حين تشعر بحاجة
إلى الضحك
وأضحك حين تبكي
أو ابكي إذ تذهب في نزهة مديدة
بصحبة الأرق

سريرنا واحد
ووسادتنا واحدة
ومن كابوس واحد نستأجر لحظات للنوم

الجسد اليباب

القلم في يدي معول
ويدي الأخرى غصن
والعصب الذي يشد أصابعي
على القلم
حبل مرمي في بئر
قرارها
في رأسي
لكن لا ماء
ثمة فقط الصخر
بل صخرة واحدة
تضغط بثقلها
ما بين كتفي
اللتين كصخرتين ناتئتين
في سياج
مهجور

إبطاء مفاجئ في السير

شبه عارية تسهو على عتبة البيت، في يد
تشهر مظلة وفي الأخرى تتدبر سيجارةً
بالكاد تُرى جمرُها عبر غمامة الدخان.
وجهها المعتم تحت سماء المظلة محو
أيضا كلما بأصابع دخانها التي لا تتي
تلتئم، حينَ - كأن - بمُدَى يُقَطَّع أوصالها
المطر. لنسمها: المرأة التي تدخن في
صيف ممطر تحت وابل من نظرات
المارة أو لتكن فريسة النظر التي تفترس
دون أن تُسيل قطرة دمٍ واحدةً، رغبات
الداهشين كلا خلف مقود سيارته: صرعى
وقد مالت أعناقهم جهة المشهد كثيرا
مغتتمين إبطاءً مفاجئاً في السير

قلب مستأصل

تحت الشجرة
التي هرمت أمس
وتلفعت اليوم
بالشتاء
خلف كدس الثلج
الذي كان
يقضم جذعها
الأسود
قضى الليل
نابضا
مثل قلب مستأصل
تجمد حوله الدم
لنودعه
حفرة في الصباح

سكون

المقاعد مسنون آبدون

في قيلولة نسيان

عبر نافذتي

لا شوارع لا ناس

ربما أجّلوا السماء إلى إشعارٍ آخر؟

ساعتي عاطلة

أنبوبُ الماءِ محكّمٌ تماماً

كذلك قارضُ الخشب

في إجازة

لا صدى للكلمات

حين أقول: لا صدى

أحدهم يضع كفه على فم البيت

سينما آدمز مورغن

إذا انتحر الجار
بحبل يستدينه مني
دون أن يسألني المساعدة
في إحكامه
إذا أغرقت المرأة العجوز قطتها
في حوض الاستحمام
دون أن تطلب مني انتشالها
وإذا فاجأ البوليس تاجر المخدرات
على مدخل البناية
دون أن يطلبوا شهادتي
سأدخل البيت
ككل يوم
كأني أخرج من السينما

هدايا العاصفة

زلاجاتهم الموصولة
إلى أكتافهم بأسلاك المعدن
مثل كلاب صغيرة
تتشمم كعوب أقدامهم
وفيما تتنابح الكلاب
الحقيقية مع الأولاد الأصغر سناً
خلف ستائر النوافذ
يترامزون هم بأصوات مكمنة
تحت ضلوع لأشجار
التي كالجدّات
تمسد شعورهم بأصابع بيضاء
سرعان ما تسيل على جباههم؛
الأطفال الذين كأنهم ترجلوا تواءاً
من ظهر العاصفة
هاهم يتقاذفون بهداياها
وسيخلفون بعد قليل

حدبة بيضاء على العتبة
ويذوبون على مداخل البيوت

قبعة سنومان

كأنه اندلق - أو لا يزال -

من باطن الدلو

المُرتكسة في رأسه

الدلو التي كقبة

تحمي رأس سنومان من الثلج

الدلو التي كبئر مقلوبة

قرارها في السماء:

وفوهتها المُرتكسة

إلى الأبد

في رأس بورتلاند

مشهد

السماء عبر النافذة شتائية بلا مطر أو ريح
وحيث بشال من الضباب،
تغطي الشجرة العارية أغصانها
يتناهى نباح كلب
بحجم راحة اليد من نافذة البيت المجاور
أمس مرّ دون ذكريات
وها هو اليوم يتعكز
على سقف محطة الوقود
لم ولن ولا ولم لا:
مهشات أطردها الأفكار التي
تهوّم في الرأس
بينما أتطلع بحياد إلى خمود النهار
ونوافذي محكمة

مفهوم السماء

قائلا من قال:
(الثلج لا يتساقط
من السماء؛
السماء هي التي
تتساقط)
فقد أصاب
أو ربما أخطأ
حسب مفهومك
للسماء
خلال عاصفة:
نصف مطمور
في الثلج
تحاول مع
إحدى العجلات
بأصابع
يتكسر على أطرافها

الماء
المتجمد
وتذوّب بقاياها
بأنفاسك؛
من يراك
يظنك
إما عامل صيانة
تذكر أنه
نسي عدته
أو أنك ترجلت
على (الهاي وِي)
في منتصف الليل
لتصلي

الشوارع في الأعلى

لتدبُر الحياة - هنا - لا فسحة إلا

نافذة المترو:

رف مكتبة بمجلاتٍ لن تتبين أعدادها

كلُّ مجلدٍ بأجزاءٍ

بمداخلٍ

بأحزانٍ بلا عناوين

النظرةُ فارزةٌ بين عابرين

إلى جانب أحدهما حزمة جرائد

وفي يد الآخر عكاز يتوسل

قرع طبول يتيه بي تحت الأرض

اصطكاك الحديد بالحديد تحت قدمي

من حولي حشد نائمين

وأنا أحلم مفتوح العينين

في عتمي الخاص

الشوارع في الأعلى أليفة
كخطوط في كف بأظافر طويلة

لكنك قد تحتاج إلى دليل سياحي
لتثبت أن الناس متاهات

أو
أستعر نظارة سائح يوناني
وحدق في (بحيرة الانعكاس)
لترى شمسك الغائبة

وتعلم ألا تهبط أبدا في المحطة القادمة
ربما قادتك إلى حيث تريد
أن لا تصل

لتدبر الحياة هنا لا فسحة إلا نافذة المترو
أو حمام في قبو

مجداف ستيفن

انتبذ لنفسه يوما
من بين الأيام
وتوقف
عن العمر
استنفد لا - عمره
أمام الشاشة
كما لو في مركب
عالق بين صخرتين
حيناً بيد
تشبه غصنا ميتا
يجدف
أو يضرب الهواء
بأخرى
مثل جناح
بلا ريش
يريد ستيفن

أن يطير في
الماء
المتلاطم
على الشاشة
بجناح
عاطل
أو يبحر في
الهواء
الأزرق
بمجداف يشبه
يده

ليل هنا

أتحين لهن بشباك النظر عاضا على
طرف المشهد أسمع صوت اصطكاك في
الرمش لو قبيض لأحلامك جمالهن ثرثرة
العين والقبل أمهات إلى أجل واحد عبر
طرق شتى تحسبهن مخلوفات الموعد أو
يضمرن لك الندم سهوا عن قصد الذاهبات
واحدة في الأصل متتكرة في ألف مشية
يتقوس لها الدم ويحنث الماء كل الماء
بيمينه.

إلهي

المكان هناك

حيث يحن التائه

إلى ليل هنا

حيث تحت سمائهن

اختض كفريسة تغاث أبدا للتو

دمشق 1998

كتاب

(كما في مشهد سينمائي):
امرأة محنية في الصحراء على جثة
أفترض أنها كتاب
المرأة لا تشبه الرجل (الذي سيظهر
في المشهد اللاحق)
لكنه يشبهها
وهما معا
أقرب إلي مما لو كانا منفصلين
أفترض أنني أحدهما
الذي مات فيّ منذ بقرون
وكان قابلا لأن أحلم به
(كما في حكاية لبورخيس)
مدلى من مروحة سقفية في رأسي
بينما ترفض المرأة
أن تحلم بي
تقول أخشى على كتابي أن يتبدد

في الصحراء
وأفترض أنها جثة
إذا دعوتهما لملاقاتي خارج السينما
من أجل تسوية
تغيب الرجل
واعتذرت المرأة عن الهبوط
إلى أطراف أصابعي
كم
راسلتها ولم أتلق
سوى الأجوبة

ماريا كالاس

قديم القول: (تشبه شخصية روائية) أو
(هاربة من إحدى لوحات رينوار) لكنها
كذلك وسترتها من جلد، تحمل كلما
متأخرة عن موعدنا الوحيد ثلاثة أيام
حقيقية جلدية أيضا، في شقها الجانبي
شريط صوتي لماريا كالاس، وتتناول
السيتامول بإفراط. عندما تبكي تخالها
مصغية فيما هي تروي الذاكرة بماء العين
فتنتب على لسانها بضع كلمات.

من نافذة حافلة أم عبر زجاج مقهى معتم
إذا رأتها، ستدرك أنها ينقصها عاصمة
كبيرة ومصطبة في محطة مترو تحت
الأرض، لكي لا تذهب - كما في الأفلام -
إلى أي مكان.

محفظتها - تذكرت - كذلك من الجلد
وتدرس الموسيقى.

تمثال

عيناه حصاتان ترسمان عن بعد دوائر
متصلة في الماء. بين أسنانه يتحجر ظل
صغير قديم، أو ما يشبه مدية كان يخرق
بها شباك نفاد الصبر التي تنسجها
الأسماك على مهل حول أفئدة الصيادين،
من ذراعه يتدلى طوق النجاة بمثابة
ذكرى متذكّرة هذا اليوم عنوة: إن زلت
قدمه عرضاً أو سقط في حفرة مموهة
ببريق يتشبه عن بذهب قصد الأعماق.

أدراج الرأس

ثمة ذكريات تشبه القصائد نائمة في أدراج الرأس. نتذكرها اليوم، وغدا ننظر إليها مواربة، كأننا منشغلون بغيرها، وفي ما بعد ننفذ عنها الغبار. لنقل مثل رسالة قديمة لم نرسلها، وشاقنا أن نقلب حروفها، لنمزقها أو لنعيدها ثانية إلى حيث: الأدراج مقبرة مشاعر بينما الغبار كما هو باستمرار كفن يخطه النسيان أو الموت.

سواد قرون

إلى أُمي

إذا رسمت وجهها بعينين ضاحكتين
يتسارب منهما الدمع لكنت رسمتها،
متلفة بالسواد منذ قرون، وهناك حين
لا تحكم أحياناً عقد شيلتها، خصلة شعرٍ
كأنْ بلا قصد لَمَسْتَ بالأبيض ظلاً قرب
صدغها.

- ما لون ثيابك في الحلم؟

- أحلم في العتمة ولا أراني.

لكنك تستطيع أن تُدخل الأزرق بأن تتركها
باكية على سطح البيت وقطعة من السماء
غافية على كتفها، أو الأحمر معتماً حين
تمعن هي في مشهد الغروب من خلف
النافذة ويدها اليمنى متيبيسةً قرب فمها.

الأوراق

لأنني،

مثلاً ينتصب تمثالٌ في غرفة معتمة
رافعا يدي الممسكة بحزمة الورق
تظاهرت بأنني أحيي أحداً تحت شرفتي
لأنني،

تحت عثم المصباح الكهربائي
تتخر رأسي الوسوس
وعيناى متروكتان للغبار
لأنني،

كاد فمي يتبخر أمام الأعين
التي حفرها تحديقي في ظلمة الجدار
لفرط تكتمي
لأنني،

كان لابد أن أكون تمثالاً كي لا أثير شكّها
عندما تعبر مرمى نظرتي المحنطة أيضاً
كنظرة تمثال

ولأنها كادت أن تختفي حيث تبقى ذكرى
حضورها الخاطف ناشبةً في رأسي
كلما جلست إلى الطاولة
لأنني،

- آه - تحنَّطُ هناك تحت المصباح
بينما هي تتأرجح على حبال نفاد الصبر
في أعلى الزاوية
ولأنني

رأيت المصباح يتدلى
مثل حبل مشنقة فوق رأس تمثال
تكدست على ركبتني في آخر المطاف
وفي يدي الأوراق البيضاء
لا تزال بيضاء مطوية في يدي
مثل حزمة أحقاد:

ملائكة

إلى م.ي

قالت الأم:

ملاك ليدها

قال الأب:

ملاكان للوجه

قالت الأخت:

كل إصبع بملاك

قالت الجدة:

لا تنسوا قوس جسدها وهي تنحني

قال أخوها الصغير:

عشرون ملاكا حين تنظر إليّ

قال الضيف:

حين تتفتح الأبواب على يدها

وعليه،
لم يكفِ ملائِكُ واحد في ميزان الاسم
فسموها: ملائكة

حين مُمازحاً لمست كتفها
عاصفةً ناعمةً الملمس هبَّت في وجهي
وعلا في المكان خفق أجنحة

ذئب

في الليالي المقمرة
يحدث إلا أرى القمر
يحدث أن ذئبا يعوي في الغابات
أو على قمة جبل أو من باطن
هوة سحيقة إثر عاصفة
أتخيله بلا مواساة
شريدا في قلبي

قبلة عبر الزجاج

تقمصت (البطل)، لكنني لم أجرح واحدا
من الحراس ولم تقبلني حبيبتني من خلف
زجاج سميك، ويدي مغلولتان. في
منتصف الليل، عدلت الفكرة حاذفا مشهد
العراك في البنك، وداخل صالة المطالعة،
أجلست جثة مدبرة إلى الطاولة ووضعت
أمامها الكتاب، وكما لا يحدث غالبا،
تركت بصماتي ضاحكة تورق على
السلم، وخرجت خرجت إلى الأبد من
الفلم.

لو أن

لو أن مدينة على البحر
أنا مركب الغريق
لو أن شجرة مثقلة بالذنوب
فأس من مغفرة
لو أن سماء مشرعة
طيلة العام
على إله غائب
لو أن طريقا بلا جهة
أو جهة بلا قاصد
لو أن رغبة كخفاش
أضمد لها بالعنمة
لو أن دمة موشكة
على السفح كحياتي

عشرة أقفال

كأنها حارسة على باب المستقبل أوصدت
علي الطريق وها هي الآن في ذاكرتي
تحمل معولا لكي لا أتذكر. يوم حطت
سحابة السفر على كتفي تماسكت هي
مخافة أن أمطر. قالت: عد سنأكل سمكا
لكنني تأخرت عن موعد الغداء عشر
سنوات، وكلما حاولت العودة مثلما أنا
الآن أجدها رابضة على العتبة كخزانة
وفي يدها عشرة أقفال
صامتةً تومئ أن عُدْ
أترى غاضبةً مني
أم حرّف الزمن وظيفتها؟

جفاف

حين نقول بحر تومض في البال حزمة
بروق أو يكسر طائر وحيد قوس الأفق
في رؤوسنا وربما نسمع عن بعد لغط
نساء شبه عاريات وصراخ أطفال
مدفونين حتى أكتافهم في الرمل وعلى
ذكر الدفن: حين نقول موت ثمة خلف
بضع كلمات سينتصب مآثم أو صورة
بالأبيض والأسود لصبي يقتل في
الحرب أو يموت متأثرا بجراحه في
حادث سير بينما يتغيب الآخر عن المقهى
والبيت والجامعة لأنه يلعب عن قصد
دور الغائب الوحيد في أقاصي البلدان
وثمة أيضا على صلة بالرمل أرامل
يتحلقن حول جثة مُسجاة في باحة، وهناك
من يقول: دعوا رؤوسهم جانبا ولنتدبر
بقية الأطراف ولأن مُسجاة هناك ف غريقٌ
منتشلٌ دائما بعد فوات الأوان، يعود بنا
ثانية إلى البحر حيث عالقة كخرق بين
حطام المراكب أجساد الغرقى وقد نرى
شراعا مخرقا بـ الملح إذ يفتح ثغرة لـ

الظماً أو الصحراء متبوعة بشاحنة تجار
كحلى تذكرنا إما بحجر كناية عن
استحالة الولادة أو بالجنين الذي يتعفن
في أحشائها كما تتعفن أنفاسك حين
تفاجأ، وأنت تعد للهرب، بشرطي يسألك
عن الوقت أو يلقي بك في غرفة ترى عبر
نافذتها الملغاة شاهدة قبرك مع أنك كمن
ينتظر الإعدام ليرتاح. وهنا لابد أن
تنعطف بنا ينتظر قليلاً إلى (ما لا يأتي،
غودو، والمنتظر بجميع أسمائه) وأيضاً
صوب تتصفح حياتك بكتا قدميك جيئة
وذهاباً كأنها زنزانة أو أن تذهب بدل
الانتظار إلى بلد ثالث أو رابع أو الخ..
لنلتقي هناك بعد سنين (كما في الأفلام):
تروي لي (ألف ليلة وليلة) كيف نجوت
من الغرق واعتصمت في جزيرة مثل
[روبنسون كروزو] وكيف حملتك طائرة
أسترالية مثلاً إلى جزيرة أخرى وسأروي
لك أنا هذه المرة كيف احتميت من البرق
بشاحنة وكيف بشاحنة قطعت جبلاً إلى
نصفين: نصف حملته على ظهري مثل
صرة نازح ونصف خبأته مثل كنز ضائع
تحت قفصي الصدري وانحدرت مع
الحرائق التي تعوي في الغابات إلى حفرة

في فندق أو العكس: بيد أنني أستبعد
الطائر عن القفص لأنني لا أزال مدفونا
فيّ وشاهدتي سماء ملبدة بـ الكهوف أو
الأصح: بالغيوم ذاتها من الجهة الأخرى
منظورا إليها عبر قمر اصطناعي يجوس
في دماغي، أو بإطلالة من نافذة
هليكوبتر حبلى بشعب منكوب لا بزلزال
ولا بجائحة بل لأن طفلة كالحة القدمين
تركت دون فطام في أحضان أمهاتنا ولهذا
نشخ منذ قرون بعيدا عن صدورهن: التي
يصح أن نكنيها بأبواب الأولياء لكثرة ما
يطرقنها رغم أنها مشرعة طيلة العام
كمداخل مقبرة تهرب من السور.

حين نقول نهر: بعضنا يتذكر قتيلا
مخضبا بالماء وبعضنا سمكة تلتمع في
رأسه مثل فكرة انتحار، بينما يظما آخر
لجفاف ماضيه

يدي على قلبك

عندما تنظرين في المرأة
ستجدينني هناك
أنظر إليك من نظراتك
ويدي تضمانك

عندما تنظرين في المرأة
أغمضي عينيك لأمرر
يدي على جبينك

وردة يابسة على طاولة
(حيث نتقابل كمرأتين)
فراشة مقطوفة من صمتك
(إذ تكلميني)
وأثر من قبلة

عندما تنتظرين
نظرتك كوة في أيامي
ولو تأملتِ عن بعد كيف أنظر إليك
أسمع أنفاسك

المرآة التي في يدك
يدي موشومة من عينيك
برمشك

لا حاجة بك إلى يديك
عيناك تضمانني
لا حاجة بك إلى فمك

حين تنتظرين
دموعك التي تحرس نظراتك
تبلى مرآي

كلمة رمل

إلى أرونا

الرداء يتطاير عاليا إثر عاصفة
ليس إشارة عري مادي

سواد الأفق: نظرة أعمى
يقرأ سيرته المدونة
على شهادة قبر

تجاهل الغرقى في مسرد الحلم
ففي استغاثاتهم حنين أعضائك
لأسرة من حجر

هل امتدت لك يد يابسة
إذا لمستها انعقد لسانك على كلمة رمل؟

تخوضُ في دم دافئ:
القتيل الذي يشاطرك ماضيك

ارم الخاتم إلى النهر
لتكف الذكرى عن تأليبك

المتاهة أن ثمة طريقا
والدليل أنك لن تصل

وصية

أكتب وأمحو
صحراء نائية قرب ساحنة....
أكتب وأمحو
خطوات هارين على الرمل
أكتب وأمحو
لو حبل مقطوع إلى الأبد في بئر
أكتب وأمحو
قربا فارغة من ذهب باطل
أكتب وأمحو
سبعة غربان وامرأة تتمرأى
في خيمة
أكتب وأمحو
بلا خطيئة هل تغفر لحياتك؟
أكتب وأمحو
قد يصلون ليلا
لكن حيث لا أمل ولا يأس

أكتب وأمحو
صدى ضحكٍ في العتمة
أكتب وأمحو
مثل كل الأشجار تلك الشجرة
بعيدة؟
أكتب وأمحو
كلاب رغبتي تتشم ثيابك
أكتب وأمحو
عن الرسائل رزماً في حاوية أوساخ
أكتب وأمحو
عن المراكب إذ تبحر على الورق
أكتب وأمحو
هل سنحتاج صندوق بريد في الآخرة
أكتب
وصية بأن لا تُقرأ
وأمحو

تلفاز

تلوح المرأة بمنديل؛
الرجل بقبعة
يلوح الأطفال العائدون من المدرسة
بحقائبهم من نوافذ الباص؛
النازحون عبر الوديان
بالأطفال النائمين على أكتافهم
حين يسمعون هدير طائرة
يلوح الميت بشاهدة؛
الغريق ببقايا مجداف
يلوح الجنود بأذرعهم علامة النصر
أو بملابسهم الداخلية من أجل سيجارة
أو كيس أطعمة
يلوح الحشد بأعلام صغيرة للرئيس
يلوح هو بحرب أخرى
تلوح أُمي عبر الهاتف بدموعها؛
ألوح أنا بالرحيل إلى بلد ثالث

أو رابع
أو
فيما العمر يواصل التلويح
بالنفاد

ليل

ظلمة ذائبة في الثلج
الذي يتكدر بياضه حول جذع الشجرة
وفوق أغصانها العارية إلا
من الثلج المعتصم بالظلمة
من الذوبان

بقية الجسد (حلم متكرر)

في يدٍ يحمل خنجراً
وفي الأخرى رأساً مخضباً بالماء.
أين بقيةُ الجسد؟
يسأل الرأس،
يتلمس لسانه بالإبهام.

كان الظلام حفرة غائرة
في يده
وقرب الشجرة كلابٌ تلحق
حذاء قتيل
[كان في المدرسة كسولاً
وقليل الأعداء]
أين بقيةُ الجسد؟
يسأله الرأسُ

ريحٌ هزّت الشجرةَ
فخافت الكلابُ
وألقت الحفرةَ في كلماته

لتكن

حين تنتظر إلى السماء:

تلك الغيمة

وذاك النورس

لحظة الغرق:

النظرة الأخيرة الملقاة

إلى اليابسة

حين يهوي أحدهم

من ارتفاع شاهق:

جسده

قبل أن

يرتطم بالصخور

حين يجأر مركب بعيد

المنديل أو اليد التي تلوح

رغوة صابون

كسرة خبز متجمدة في الماكرويف: (أنسى
تشغيله) إبريق ماء محمول على زرقعة
الذهب: (ينتظر أن أكم غليانه؟) ويعن لي
بوجه نصف حليق وفم ملئ بمعجون
الأسنان أن أرى إلى الفجر: كيف يتشاءب
بفم كلب الجار وبأطراف قطعة آشلي:
(السائبة طيلة الوقت تقريبا) كيف يتمطى
قبل أن يشيخ مثل جنين في حضن الشجرة
بعد لحظات أو يذوب على الأسيجة كحفنة
ثلج في أواخر الشتاء

السناجب تقضم جذورا ميتة فوق
الأغصان

وغرابان ينعيان الليلة الماضية قرب سياج
الفسحة

الخلفية لمدرسة كوثر

صوت محرك سيارة.. اثنتين.. ثلاث

مختلطا بصفير قطار الشحن الذي أفرغ
حمولته

وها هو يمضي محملا بالليل إلى خارج
بورتلاند
وبينما أتفقد كسرة الخبز المبللة
يخمد الفجر كبقايا رغوة صابون
على ذقن اليوم
الذي أتمرأى وإياه عبر نافذة

شبكة

مثلَ

عنكبوتٍ

يستسلم

لفخ

أعدّه

بنفسه

مكبلاً

بالشبكةِ

التي

مدَّ

بحرصٍ

خيوطها

مثله

مدلّى

أحياناً

من

سقفٍ
في رأسي
حيّاً ولكن بلا أملٍ
أنتظر مثله مخلصاً يفتك بكل شيء
بالشبكة بالسقف بالعنكبوت الذي لو مثل
مخلص أفتك به الآن وأبقى بعد ذلك
منتظراً مثل مخلصٍ ينتظر هو الآخر مَنْ
يفتك به

سَلْطَةُ أَحْلَامٍ

أَتَأْمَلُهُمْ كَمَلِكٍ وَحَاشِيَةٍ
مَعْتَصِمِينَ جَمِيعًا بِبَقَايَا مَجْدَافٍ

أَتَأْمَلُهُمْ نَدَامَى تَعَبٍ يَتَرَسَّبُونَ أَسْفَلَ النَّهَارِ
وَالْأَيَّامِ كَوْوَسٍ مَلَأَى بِأَحْلَامِهِمْ

وَاحِدَهُمْ شَبَحَ بِأَحْتٍ عَنْ بَقِيَّةِ نَفْسِهِ
وَهُمْ جَمِيعًا ظَلَالِ آخِرِينَ
مَدْفُونِينَ تَحْتَ الْأَتْقَاضِ

مِنْ ظَلَامَاتٍ شَتَّى يَضِيئُهُمُ الْيَاسُ
وَالْأَمَلُ مَعُولٌ يَشْجُونَ بِهِ جِبْهَةَ الْفِرَاقِ
عِنْدَمَا تَنْطَفِئُ آخِرُ النَّهَارِ أَجْسَادَهُمْ

تايانديون، مكسيكيون، هنود، عرب،
وأفغان ... الخ
سلطة أحلام والوقت ملاعق

كانت الذاكرة

إذا كانت الذاكرة حجرا
الذكرى عمل نحتي
لطائر عيناه في مؤخرة رأسه

إذا كانت الذاكرة ورقة بيضاء
الذكرى نار توقدها متى تذكرت

إذا كانت الذاكرة شجرة
فجذورها أصابع قدميك
على أن تفرد ذراعا لغراب
تهشه بالذراع الأخرى

إذا كانت الذاكرة جدول ماء بارد
وأنت ظمآن؟:
أوثق نفسك إلى صخرة
على أن
لا
يأتي من يحرك

إذا كانت الذاكرة كهفا
أنت ذئب هائم
في براري أيامك
بحثا عن فخ أو رصاصة طائشة

إذا كانت الذاكرة
ساعة رملية ستمشي أحيانا
إلى الوراء على يديك

إذا كانت الذاكرة بيتا
الذكرى ضيف يقيم إلى الأبد
بشكل مؤقت

إذا كانت الذاكرة غمامة
أو فزاعة كوابيس
أو سياجا مهدما أو شعبا
أو حتى ملتقى قتلى لم يؤخذ بثأرهم

يدانا تؤلمانك

يُدُّها: لأنني أتوسَّد يَدَها
يدي: لأنها نتوءٌ صلبٌ تحت يَدِها

يُدُّها كأنها يدُ أخرى

بينما بيدي الثانية أسوي خصلةً
تنسدلُ أبداً على جبينها

- كريم يدك تؤلمني
- هند يدك أيضاً ألا تؤلمك

توسّدي يدي
وادخلي يدك في الفراغ
ما بين إبطي وحافة الوسادة:
فتكفان يدي ويدك عن إيلاмок

يدها: لأننا ننسى أن لها يداً
مدفونة في جسدي منذ قرون
يدي: لأنني أشد جسدها بقوة إليّ

هي: لو كان لنا جسدٌ واحدٌ حين ننام
أنا: ويدٌ واحدةٌ لألهو من شعرك بتلك
الصلة
هي: ويدٌ أخرى كأنها يدٌ أخرى تتقلبُ في
الغاز سرَّتكَ
أنا: ويدانِ أخريتانِ
لكي تقولي: يدانا تؤلمانني

دماء المارة

إلى صلاح حسن

كان يقول لسيدة شامية (ما أن وضعت
السيجارة بين شفتيك اشتعلت) وكان يريد
بذلك بغداد التي اشتعلت في فم الليل مثل
بركان فهرب منها الجميع إلا القطط
وموزعي الصحف وطائرات الشبح الذي
تتبعنا آثاره بين أنقاض مكاتب البريد
وأبراجها الذائبة وفي الآبار التي كانت
تحفرها صواريخ كروز على الجسور
إذا سلمنا أن البئر قعر مليء بالدم
وفوهة يشتعل فيها المارة

هنا . ك

هناك أننا مغمضين نتطلع إلى هنا
هنا أننا هناك لا نزال نتطلع

هنا أننا هناك أكثر وضوحا
هناك أنهم هناك يضلون غامضين

هنا أنهم بعيدون أبعد ما كانوا إلى هنا
لكنهم هناك - كما نحن - أبعد إلى هنا

برازخ أجسادنا التي تفصلنا عن هناك
هناك برازخ أيامهم

بضعة غربان

شجرةٌ وحيدةٌ خضراءُ يغمرها الثلج
حوضُ ماءٍ صغيرٍ يتجمّدُ خلاله حذاءٌ
متشرّد
مصطبةٌ وأثرُ شخصين غادر أحدهما قبل
ثوانٍ
ربما بضعةٌ غربان متفرقةٌ هنا وهناك
على الأغصان الجرداء
حارسُ الغابة يعرف أنني ضللت الطريق
وأريد أن أعرف:
لماذا تلك الشجرةُ وحيدة
وخضراءُ؟

شتاء 2000

الليل
شفرة
تبرق
على
الرقبة
في
طريق
فرعي
والوحشة
جمرة
سيجارة
تومض
في فم متسول
وبانتظار أن يصل القطار
تكاد جبهتك تلامس الأرض
تحت الأرض

بيد أنك لا غيمة على صدرك
بيد أن ركبتيك مبللتان بحنين الليلة
الماضية

وكما لو كنت في طور
صحوة مفاجئة من الموت
تحاول أن تدفع الموجة
بعيدا عن الصخور
أية صخور؟ لا تدري
لكنها لا تزال هناك على كتفك
يعن لك أن تطل برأسك
عبر نافذة في السقف
السقف الذي إذا انخسف
سيندم كثيرون
منهم من يسحل كلبا ميتا
ويسألك أن تنبح
آخرون يدعونك إلى وليمة
تأكل فيها أحشاءك
إلا المرأة التي تقسم بأنها أمك
كاشفة لك عن....

ربما قتل شاغر في سيارة إسعاف
منتحر يتأخر عن موعد مرور القطار
أو عربة تسقط من الجسر
الذي يربط ماضيك
بماضي بائع التذاكر
الذي كأنه يبكي حين يبتسم
عبر كوة في جداره الزجاجي
وليس يعنك غير أن تنسى
أو أن تستأصل الوقت
فلا تعود بك حاجة للنسيان.
ربما ستحتاج
أن تستبدل رأسك
بقنديل مطفاً
وتسير في الظلام
ربما
أن تضع
حجراً بين أضلاعك
وتعد لندمك بحبات الرمل
مثل ساعة تتقلب

برمال الوسوس
تقلب الجهات
برأسك الجداري
فمك يابس
هل كنت ميتا على بعد
خطوات من بئر؟
يدك سوداء:
كنت تربت طيلة الوقت
على كتف
جثة

الثواني
إبر
أحدهم
يؤخر
بها
القلب؛
كل ساعة
كأنها يرفعون

تابوت
شبيه لك
يناديك: يا شبيهي
تجلس هنا - لك على بعد سنوات
من نفسك
عيناك تحفران نفقا في العتمة
ولم يتبق سوى
أن تذرع المكان
جيئة وذهابا
تسأل أحدهم عن
عود ثقاب
وعلبة كيروسين
أو عن السلم الطويل
الذي قبل قليل كأنه دهر
أبليتة هبوطا

الظلام هنا

الظلامُ هناك:
قفصٌ تحتَ الجلد

هنا: جناحُ طائرٍ جريحٍ
خارجَ القفص

الظلام هنا - ك: طائرٌ وحيد
داخل خارج القفص

أزمة

لأن المستقبل هو الآن - كما يقولون -
نتذكر الحاضر بصعوبة

ولكي لا ننسى رائحة الماضي
نتزوج جداتنا
ونهديهن في عيد الحب
أطعم أسنان

لكننا نستطيع - لتجاوز الأزمة -
أن نعاشر سوداء مستديرة كعجلة
أو
ننام في كيس
قرب مدخل كنيسة

أوثان

كأنني
من
رمل
أقيم
أصنامي
وها أنا
إن مسها الماء
انفرطت
إن اعتصمت
بالظماً
تناهبتها الريح

تعويذة كافافي

كان يحلم بهذه الأرض
وحين جاءها صار يحلم بأحلامه

حين يعود
سيحلم بالعودة ثانية
ويضل إلى نفسه الطريق

سيقيم للمتاهة نصبا
يسميه: هناك
هنا - سيقول - سراب ممكن
لكنني لست بظمان
في آخر المطاف كرسي هزاز نهاره
والساعات إذا خربت حياتك
فأعلم أنك... إلى آخر التعويذة

لا . وقت

لا وقت لكي تضجر أو تشفق أو حتى
تأسى لمن لا وقت لكي تنساه عن قصد
مخافة أن تسهو عن تأجيل ما كنت
ستنجزه عندما كنت الآن محض سيجارة
في فم الوقت وهو يثرثر مثل مسن سواء
تمام أو تتشاغل بالنظر إلى البنايات
الشاهقة تترى كمثل أفكار غير منتقاة على
شاشة الرأس لأن لا وقت للسؤال عن
وقتٍ آخر إلا أن تعضّ على أصابع
ماضيك بفمٍ يتساقط وتبقى أسنانه ضاحكة
لمن لا ندري عبر زجاج نافذة الباص ولا
يعنيك من أمر الغراب المعتم في مشهد
الفجر سوى أنه لا وقت للتشاؤم إذا فاتك
(مترو) الساعة الخامسة والنصف فقط
العن المسافة الفاصلة بينك وبين الأبواب
التي تنغلق كل مرة في اللحظة الأخيرة

الشريك

أنت يا أنت
تلك هي جنةٌ حقدي
وارها التراب
قبل أن تحملها الريح إلى الحقول
أوثقها إلى شجرة
ولكي لا تزهر
تأكد أن تتلف جذورها
القي بها إلى الهاوية
على ألا تكون السماء مقلوبة
فتجدها في الصباح
على عتبة دارك
سوداء مثل كلمة
مغمسة بحبر كلمة أخرى

غزل

كأنك انعكاسك على الماء
وأنت نائمة

يدك أوهى من ريشة
لهذا أتقصد نسيانها في يدي
كتذكاري منك وأنت نائمة

حمامتان تحاولان التشبُّه بنهديك
مهمتتان على عتبة الباب؛
نهداك

ماءان دافئان
يقظان على صدرك
مثل حارسين
وأنت نائمة

لندع حكاية الغطاء
الذي تأخذينه مني
وتعيدينه إليّ مراراً
وأنت نائمة

لن أسهو عن اسمي
حتى حين يخرج مغمضاً من بين شفتيك
وأنت نائمة

غير أن طفولاتك تتقافز حولي
فأشعر أنني أكبرك بعقود وأنت نائمة

حين تستيقظين: خذي أصابعي
واتركي ذكرى أن ألمس شفتيك
كلما
وأنت نائمة...

حارس ليلي

متعثرا بفوضى الأغطية ولا ثبات
مواضع قدميه على حافة السرير، مثل
مغيب عن الوعي يهْدِد بخطى النائم
الثقيلة غفلة النوافذ آخذاً على عاتقه كل
ليلةٍ إيقاظ الجدران وتذكير البيت بأنه ليس
مقبرة. بيد أن شبهاً في المرأة (كما في
صورة ملتقطة في العتمة) يربّت على
كتفه ويعيده في تلك الساعة المتأخرة من
الليل، إلى سريرهِ. كأعمى ثمة على
أطراف أصابع قدميه عيون لا ترى وكمن
يقتفي آثار شبح في المكان المهجور
يتلمس ثانيةً طريقه إلى النوم.

عشبة خلود

قل كلمة قبل أن تنام
في الصباح تجدها عبارة

قل كلمة دون أن تنام
لن يكون الصباح

قل كلمة خارج الوقت
تنبت عشبة خلود
في فمك

حفلة تنكرية

سأبدأ من حيث ينتهي
وأضل إليه الطريق

سأأخذ سفينة أحرقها
قبل أن تلوح في الأفق يابسة

سأتحرى في وجهه
مواضع الشبه
لأبدل وجهي

سأتنكر به
في حفل عميان

أسرق ظله الوحيد
لينام في العراء

عكازه الضرير إلى التهلكة
أصابه عندما تنطوي
على قبض ريح

أنا
الذي يضيء له الهاوية
بشمعة أستلها من أضلاعه

سأقفل عليه ظلمات النوم
بسبعة كوابيس
وأوقظه برصاصة

أحوال بولتن ستریت

الأشجار كثيرة بالأولاد
والشارع قليل على النوافذ
حدّ أن خمس حبات من البندق تكفي
لاختزال بيتين أهلين باتجاه
سنباب: الأول بلا قافية
والثاني بثلاثة طوابق:
الكلب من النافذة تلفاز بقناة
خامسة ووحيدة ما بعد الظهر
النافذة بلا الكلب صفحة
من كتاب نابج على
أشباح المارة
في أواخر الليل

يقول مهرج

الحاضر في القبة يقول مهرج مبتدئ في
أحد الأعياد، والماضي صندوق مقفل
بعشرة أقفال. ماذا عن المستقبل أيها
الحكيم؟ إنه دائماً خلفكم أنى اتجهتم أو
تحت أقدامكم ما لم تخطوا. المستقبل طائر
يئن في القفص الصدري تحت ثقل ما لا
يعد من الرغبات.

أعمى خارج القفص. بلا ذاكرة داخل
ذكرياتكم. ويقول: لا، المستقبل ليس
المستقبل لأنه يطير عكس اتجاه عقارب
الساعة، لهذا أقفل عليه وأبتلع المفتاح،
وكما ترون حين أتكلم يحرك جناحيه،
وحين يئن أرجع القهقري في أحلامي.

وضعية مظلي

إلى رضا

يداه محنطتان على صدره
وهو مسجى في وضعية مظلي
لحظة هبوطه على الأرض
وجهه مصطبغ بأخضر داكن
مضاعة أجزاءه البارزة بصفرة مطفأة
على فمه تحنطت صرخة بلا صوت
وثمة أسفل خده الأيسر ما يشبه فماً آخر
صامت أيضاً وقد تيبس حوله الدم:
لم أر الشظية لأن العتمة
كانت تضمد الجرح
أو ربما لأنني كنت مغمضاً
طيلة الوقت
محاولاً الاستيقاظ
من المشهد

فوهة بركان

إلى ش. ك

في البداية أخذت تكلم النافذة
وترد التحية على جدران البيت
ثم رحت تطيل الحديث مع الأبواب
وتجادل ساعاتٍ لهب المدفأة
صارت المرأة الصدئة بحيرة
يتلامع ماؤها على كتفك
و إثر خطواتك أخذ
يتعالى ضحك الجنيات
أتذكر حذرتني مراراً
بأن: الغطاء وحش جائم على أنفاسك
بينما الوسادة تدفعها بذعرٍ صارخا: أفعى
انخرطت لاحقا بعراك مجهد مع نفسك:
يداك تطوحيان في الفراغ
ثم ترتدان بقوة رد الفعل إلى صدرك

كنت تصرخ بي أن: عد إلى البيت،
لأنك كنت وقعت في الفخ
وكانوا سيدلونك في فوهة بركان
وحين أيقظتك من تلك البرهة
سألتني أن أذهب النوم
قلت لي: سنلتقي هناك
لكنني بقيت معك كل تلك الليالي
أضغط بأصابع الطفل على صدغيك
أمرر كفي برفق على جبهتك
أهز رأسك بكلتا يدي
مصدقا أنني كنت سأطفئ جنونك
معك كنت تحت ضوء المصباح
الكهربائي:
أنت تستدرج وحشا كاسرا من تحت
الطولة
وأنا أصد عن جسدك بقية الغوايات
شبه مصدق تأويل نظرتك
جادا في البحث عن علاقة شبه
بينك وبين الكائنات التي كانت تتاجيك

عبر عتبات البيت
منزلقا معك من صورة إلى أخرى
من صرخة إلى صرخة
ومن رعب إلى رعب
فوق جسر متهالك
كنت تصر على أنه جثمان أخيك
لكم تساءلت عن مصير أعدائك
اللامرئيين
بعد أن تتعافى
عن الوحوش والأفاعي والبراكين
هل ستمحقهم حقن في العضل
أم سينتظر بعضهم حتى تشد بوثق
إلى آلة الصعق الكهربائي
وهل سيتركون أسماءهم
على شاشة جنونك
عندما يطفأ؟

* * *

حين أخبروك أنك في الفجر
كنت تربت على أكتاف الذبائح المعلقة
في دكان القصاب
نظرت إليّ
أنا
أمين أسرارك
وحافظ خرائط العوالم
المدفونة في لا وعيك

فم الساحر

يقول مدينة
وفمه صحراء تتقلب
كأفعى
يقول خنجرا وفمه غمد
أو جرح ضاحك أمام مرآة
يقول نبعا
وفمه صخرة ذائبة على الماء
من قلة الظمأ
يقول الأيام
فنتساقط سنوات كثيرة في حجره
وتطير شفتاه مرتين

معارك

أعصب عينيها بخرقه سوداء
على أمل ألا تبصر
أحشو أذنيها بالقار
لكي لا تسمع
أقطع - إذا اضطرت - لسانها
وأخيط فمها بسلك معدني،
ومن أجل أن لا تومئ
أثبتها على الطاولة
وأوثقها بأحكام
ثم بمطرقه - إذا اقتضى الأمر -
أهشم - كي لا تتذكر - رأسها
ولكي تغدو
محض جثة مهشمة الرأس
مغلولة فوق طاول

أغادر الغرفة المعتمة
من رأسي
وأخلد إلى النوم

أترك القطعة يومين بلا ماء

لن أشعر بـ
(الشعور بالذنب):
بعد الآن
وسأترك القطعة يومين
بلا ماء

سأقف كسائح أكيد
أمام بوابة المتحف
دون تذكرة

ولن أتذكر أبعد
من الباص

في المقهى
أفرد وجوه المارة
وأتصفح النادل:
بحياد مبالغ فيه

سأتجنب كآبة الخامسة مساءً
بأن أفتك بشعب آسيوي
إلى جانب فان دام
من أجل عاهرة ...

أو..
أسطو على بنك

سأكذب حنيني
لما ليس بين يدي
كحزمة مفاتيح

ولن آمل أبدا
من خلال الزجاج

مرآة الثلج

تحدق في مرآة
الثلج؛ تلك الشجرة
فيما بعضها
يفشي للموقد أسرارہ

صدر للمؤلف

- 1 - نقود الحياة (شعر)، دار الجندي -
دمشق - سوريا، 1998
- 2 - بقايا مجداف (شعر)، دار نينوى -
دمشق - سوريا، 2003